لا وجود للذكاء الاصطناعي

L'INTELLIGENCE ARTIFICIELLE N'EXISTE PAS

مي حبيقه الحداد، مركز الأبحاث في الترجميّة والمصطلح العربي واللغات (CERTTAL)، كلّية اللغات والترجمة، جامعة القديس يوسف في بيروت، بيروت، لبنان

Julia, L. (2019). *L'intelligence artificielle n'existe pas.* First Éditions

يمتاز كتاب لوك جوليا بأسلوب سهل مبسّط موجّه إلى مختلف أنواع القرّاء. وهو من بدايته واضح الأهداف: أبرزها كشف النقاب عن حقيقة ما اصطُلح تسميته بـ "الذكاء الاصطناعي". وهو مكتوب بصيغة المتكلّم ليشكّل نقلًا لتجربة شخصية من متخصّص في هذا المجال لا يتوانى فعلًا عن سرد وقائع من سيرته الذاتية. وهذا ما فعله بشكل خاص في الفصل الأوّل حيث يروي أبرز مراحل حياته والهواجس التي طبعته كما يروي مسار تحصيله العلمي وتحقيق حلمه بأن يصبح باحثًا في المركز الوطني للبحوث العلميّة في باريس ثم انتقاله إلى الولايات المتحدة وعمله ضمن مختبرات وشركات في ما يعرف بـ "وادي السيليكون". وعرض في خلال ذلك أعماله واختراعاته في بعض الشركات أبرزها "Apple" و"Samsung" وتأسيسه أيضًا لعدد من الشركات، ومن ثم عودته إلى العمل في فرنسا. أما في الفصل الرابع، المعنون "في عالم المستقبل"، فأطلق العنان لأحلامه وتوقّعاته في ما يمكن أن تقوم به التكنولوجيا في المستقبل لخير الإنسان ولخير العالم. فبعد أن عرّفنا على منزله الذي يشكّل مختبرًا لاختراعاته، أخذنا معه في رحلة افتراضية لقضاء يوم كامل في العام ٢٠٤٠، مع ما يتضمّن ذلك من استعراض الاختراعات المستقبلية التي ستريح الفرد والعائلة في البيت والعمل وفي كل مكان.

في الفصل الثاني المعنون "سوء تفاهم"، يذكّر بالمرة الأولى التي استُعمل فيها مصطلح الذكاء الاصطناعي. وكانت ضمن المؤتمر الذي عقد في جامعة "دارتماوث" (Dartmouth) في هانوفر، الولايات المتحدة عام ١٩٥٦. وتأثّر المؤتمر بنظرية "ألان تيورينغ" ودعا إلى القيام بأبحاث في خلال مدة لا تتجاوز

الشهرين، لتطبيق هذه النظرية، أي البحث في توصيف دقيق لآليات الذكاء البشري من القدرة على التعلّم وغيرها من أجل تمكين الآلة من محاكاته. ويقول جوليا إنّ الأهداف الموضوعة كانت غير قابلة للتحقيق والإنجازات التي توصّلوا إليها اقتصرت على بعض التقدّم في اتجاه ما سيعرف لاحقًا بـ "النُظُم الخبيرة" Expert Systems. لذا يعتبر جوليا أنّ استخدام كلمة الذكاء مبني على تمنّيات غير قابلة للتحقيق. ثمّ يشرح كيف تطوّرت التكنولوجيا في هذا المجال عبر ثلاث مراحل: "النظم الخبيرة" ثمّ "تعلّم الآلة" Machine Learning حتى وصلنا اليوم إلى "التعليم العميق" Deep Learning. ويتناول الكاتب التطوّرات التي رافقت هذه المراحل، منها انتشار الحواسيب الفردية ودخول الانترنت على الخط ونشوء البيانات الضخمة Big Data؛ ما سمح بالحوسبة على نطاق واسع وبمعالجة عدد ضخم من البيانات وبخاصة مع تطوّر وحدات المعالجة المركزيّة CPU. ولكن، في خضمّ كلّ ذلك، عانى الذكاء الاصطناعي حقبتَي تراجع لأكثر من سبب يشير إليهما جوليا بحقبتَي الشتاء. ثم يذكّر ببعض الأساطير التي حيكت حول تغلّب الآلة أو صنيعة الإنسان على صانعها من بيغماليون إلى فرنكنشتاين. ويتطرّق إلى أتمتتة المصانع التي أدّت إلى إلغاء بعض الوظائف ولكنها في المقابل فتحت الباب لوظائف جديدة وتحوّل معها عددٌ من المهن. ويشدّد في خلال ذلك على أنّ كلّ ما تقوم به الآلة ليس بذكاء بل يعتمد على ما نلقّنها إياه. وإذا ما تمادت أو أخطأت أو أساءت التصرّف بممارسة خطاب عنصري مثلًا، فالمسؤوليّة تقع على الإنسان نفسه الذي يوكل إليها بمهامّ مبرمجة. وهي لا تملك ذكاء يسمح لها بوضع الأمور في سياقها وبالتفكير النقدي. وظيفة الآلة هي مساعدة الإنسان على زيادة قدراته الجسدية والفكريّة وليس على الحلول مكانه. تعينه على اتخاذ القرارات ولكن لا تتخذها نيابة عنه. لذا، ما تقوم به لا يمكن أن يوصف بالذكاء. ويقترح المحافظة على الاختصار IA وتحويل العبارة إلى "الذكاء المدعّم"، "Intelligence Augmentée" إشارةً إلى أنّ الآلة تدعم ذكاء الإنسان.

ويشرح الكاتب في الفصل الثالث الفرق بين ذكاء الإنسان وما تقوم به الآلة. فيبدأ بتحديد الذكاء على أنّه أولًا القدرة على التجديد أو ابتكار ما لم يكن موجودًا. ومَن يقوم بذلك يتمتّع بحسّ نقدي يسمح له بإعادة النظر في نفسه ويمنحه القدرة على التشكيك. أما الآلة أو الحاسوب، فلا قدرة لهما على التشكيك ولا التجديد لأنّهما يعملان وفقًا لرموز وبيانات لُقّنت لهما. فالآلة تبتلع كمًّا هائلًا من المعلومات لتعود وتقذفها في وجهنا. ثم يتطرّق جوليا إلى الترويج لفكرة أنّ الذكاء الاصطناعي سيتطوّر بشكل خطير ويسيطر على الإنسان ويحوّله عبدًا له. وأبرز من أشاع هذه الفكرة هو "إيلون ماسك" وتبعه في ذلك عدد من الشخصيات المعروفة مثل

"مارك زوكربيرغ" و"بيل غايتس" الذي غيّر رأيه في النهاية واعتبر أنّ الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون صديقًا لنا. ويرى جوليا أن "ماسك" يروي قصصًا مبنية على التخيّلات الشعبية باستخدام صور الخيال العلمي الراسخة في اللاوعي الجماعي لدينا. والحلّ بالنسبة إلى جوليا هو بشرح كيفية عمل الآلة للجمهور. فذلك يعزّز الثقة ويزيل الجانب السحري منها. يدرك الناس حينذاك أنّ هذه الأنظمة تعتمد على الخوارزميات، وهي مجرد سلسلة من التعليمات المنطقية لجعل الآلة تفهم الهدف المطلوب منها تحقيقه. وبالتالي تنتفي التفسيرات غير العقلانيّة وتضمحلّ المخاوف. وللدلالة على أنّ الآلة لا يمكن أن توصف بالذكاء، يؤكّد الكاتب أنّه من خلال مقارنة الذكاء الاصطناعي بالذكاء البشري، ندرك إلى أي مدى يركّز الذكاء الاصطناعي على نشاط معيّن ويهمل كلّ ما عداه، مثل السياق المعيوش والأحاسيس وتراكم التجارب. ويعطي مثل المقارنة بين الإنسان والآلة في حال اجتيازهما الطريق ومصادفة شخص مسنّ تعثّر ووقع. فمن الطبيعي أن يبادر الإنسان إلى مساعدته فيما الآلة لن تكترث له لأنّها ستبقى منهمكة بالمهمة التي بُرمجت من أجلها، أي اجتياز الطريق.

أما في الفصل الخامس والأخير، فيتناول الكاتب الجوانب الأخلاقيّة المتعلّقة بالذكاء الاصطناعي أو المدعّم. فيعتبر أنّ دفع الأشخاص لإدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا بشكل عام يعود إلى أسباب اقتصاديّة. فكلّما ازداد اللجوء إلى هذه الوسائط، اجتمع لدى مصمميها عدد أكبر من البيانات ما يسهّل إرسال إعلانات موجّهة بحسب ميول كلّ فرد واهتماماته. وانطلاقًا من ذلك، يثير جوليا مسائل بالغة الأهمّية وهي قضية الأمن السيبراني واحترام الحياة الخاصّة والقرصنة. ويعترف أنّ كسر الرموز وكلمات السرّ ليست مستحيلة على الإطلاق مهما ادّعى البعض توفير الأمان والسرّية في بعض المواقع والحسابات. ويدعو الناس إلى أخذ الحيطة والحذر عندما يختارون كلمات السر الخاصة بهم. فمن غير المحبّذ ابتداعها استنادًا إلى معلومات شخصية حقيقيّة كالأسماء والتواريخ، بل من الأفضل اختراع كلمات أو معلومات غير صحيحة لحماية الحسابات الخاصّة. وإنّ مسألة حماية الحياة الخاصّة باتت تحظى باهتمام كبير وبخاصة مع استخفاف البعض بالمسألة مثل "زوكربيرغ" الذي صرّح: "إنّ الحياة الخاصّة هي قاعدة اجتماعيّة باتت بالية". ويلفت جوليا إلى أهمية القانون الأوروبي الذي أصبح حيّز التنفيذ عام ٢٠١٨ وهو "القانون العام لحماية البيانات الشخصيّة" RGPD. كما يشرح الكاتب مطوّلًا عمل نظام البلوك شين أو سلسلة الكتل (Block Chain) الذي لا يزال في مرحلة التطوير، ومدى مساهمته في الحفاظ على سرّية البيانات الشخصيّة عن طريق التشفير.

ويختم جوليا كتابه بأفكار إيجابيّة حول الذكاء المدعّم رغم السلبيات. فقد تظهر برامج تستند إلى مصادر غير صحيحة وقد تُصنع روبوتات لأهداف تدميريّة. المهم ألا نقع في جهل الحقائق المتعلّقة بالذكاء المدعّم حتى نعي حدود هذه التقنيات ومخاطرها. ينبغي أن ندرك أننا لسنا في فيلم هوليوودي للخيال العلميٍ. وعلينا الاطّلاع على تحدّيات التكنولوجيا حتى نبني حسّنا النقدي ونواجه مثلًا الأخبار الزائفة.

وينهي الكاتب كلامه بالقول إنّه يطمح إلى عالم يسود فيه التفاعل الاجتماعي بين الناس وإنّ الذكاء المدعّم سيقرّب البشر من بعضهم فيحافظون على حسّ التشارك الوجداني في ما بينهم وعلى صفاتهم الإنسانية. أما مشكلة تأثير تعاظم استخدام التكنولوجيا على البيئة بسبب فرط استهلاك الطاقة، فلا بدّ من إيجاد حلّ لها.

وتبقى المرسلة الأهم في نهاية الكتاب: لا وجود للذكاء الاصطناعي لكنّ الذكاء المدعّم موجود وفي تطوّر مستمرّ.